فنان

للكاتب الايطالى "أدريانو رزكولى"

بقلم الأديب محمد حبشى

قالت الكونتس :

— هل شاهدت الكنيسة الصغيرة المشيدة على ذروة مونت سان فوستو ؟

فأجابها أرتورو أندوانى بسرعة عجيبة قائلا :

— أجل يا كونتس، زرتها منذ ثلاث سنوات عبرت ، وهى بديعة جداً ، وإنى لأذكر أن قدمى زلقت فى منتصف الطريق أثناء صعودى فسقطت إلى جانب الماء المتدفق هناك وأصيبت ركبتى برض فاستدعيت الطبيب فى اليوم التالى ، وإنه لطبيب نظامى لا نظير له ، وقد عالجنى بأسلوب غريب ..

وعند ذلك أنشأ أرتورو يفيض فى الحديث ، فروى سيرة الطبيب ، والوسائل التى يعمد إليها فى علاج الرضوض ، ثم خرج من ذلك إلى ذكر بعض أزهار معينة كان قد اقتطفها من سفح مونت سان فوستو

وهكذا سقط موضوع الكنيسة الصغيرة من الحديث ذى الشجون

وفى الواقع أن الكونتس عراها بعض الدهش لما ذكر الماء المتدفق ، غير أنها ظنت أنه ربما كان هناك ماء منهمر منذ ثلاث سنوات ثم غير طريقه فسلك مسرباً آخر . وعلى أية حال فقد كانت تصغى إلى القصة الصغيرة وتبتسم وعلى وجهها أمارات الرضا

كان هذا شأن الكونتس ؛ أما أنا فإنى أقسم أن الرجل ما غشى تلك الكنيسة قط ، بل إن بصره لم يقع عليها حتى من بعيد ، وفى مقدورى أن أحلف غير حانث أنه لايدرى أين موقع ذلك الجبل

لقد عرفت أرتورو منذ أمد بعيد فعرفت فيه الكذب ، وكان يكذب على الكونتس

ولكن لماذا يكذب ؟

لعله يسوؤه أن يُعرف عنه أنه لم يصعد مونت سان فوستو ، أو لعله يستروح تسلية فى مجرد قوله « نعم » بينما قد يقول الآخرون « كلا » ، ثم هو سيسرد قصة ولا ريب متى أجاب « بنعم »

إن الرجل أستاذ كبير فى فن اختلاق الأكاذيب ، وملم بفنه الإلمام كله ، فيعرف الابتسامة التى تنم عن شىء بينما يكون الفكر منصرفاً إلى شىء آخر ، كما يعرف أصول القصة اللفقة التى ينبغى أن ترتجل ارتجالا فى برهة قصيرة إذا استدعى المقام فجأة إنقاذ الموقف ، أو إخفاء بعض الظروف ، أو القضاء على شبهات وريب

وإنك لتراه وهو يكذب ثابت الجنان هادئ النفس وعلى وجهه الناعم المورد أثر السوداء والحزن كأن الصدق الذى يلقيه يجشمه بعض الجهد ، وكأنه لا يفضى به إلا إلى خلصائه ومن يثق بهم ، وما نعنى بصدقه إلا الأحاديث التى يبتكرها من العدم ونسميها نحن الكذب

ولأرتورو صوت منسجم هادئ دائماً ، ونظرات صريحة فيها مايذكرك بنظرات النساء ، ولعينيه أهداب وطف ، وهما واسعتان وتنمان عن

ذكاء صاحبهما فى الاختراع والتأليف ، وتنظران إليك باقناع لطيف يسل من نفسك أى شك يقوم

وتكاد ابتسامته أن تكون مبهمة غامضة إلا أن التهيب ظاهر فيها ، وتراها فترى التوسل وطلب المعونة والتماس الموافقة

وبذلك الصوت ، وتلك النظرات ، وهذه الابتسامة استمان ارتورو على الكذب كما استمان أيضاً بذلك الجمال البارع الرائع الذى أفرغته عليه الطبيعة إفراغا

وقد دأب على الكذب نيفاً وثلاثين سنة بلا وجل ولا فتور وكأنه مكلف بأداء واجب مقدس. ويكذب فى العظيم من الأمور وفى الصغير منها ، إما رغبة فى الكذب كما سمعت من حديثه مع الكونتس ، أو تظاهرا بالورع والتقوى ، أو إشباعا لرغبة سيئة ، أو اضطلاعا بالتزام اجتماعى ، أو لمجرد التغرير والايقاع بالغير

ثم إن الطبيعة حبته نعمة تعينه على ما هو بسبيله دوما ، وإنى أرى هذه النعمة من ألزم الأشياء له ، وهى ذاكرة هائلة عظيمة

وإن الذاكرة الواعية التى يستخدمها الناس فى شؤون حياتهم لا يعدها ارتورو شيئاً ذا قيمة إن لم تكن معينة له ومسعفة فى ميدان الكذب

وبفضل هذه الموهبة النادرة جداً والكثيرة للحسد يفعل ارتورو العجائب ويأتى بالدهش المستغرب

ومن أمثال ذلك أنه بلد له ويطيب فى بعض الأحايين أن يخبر أناساً مختلفين بأكاذيب مختلفة تدور جميعها على أمر واحد معين ، ثم هو يخترع لكل فرد منهم تفصيلات يرويها للآخر على صورة تباين الأولى وتخالفها ، وقد يعيد بعد شهر أو عام أكاذيبه كما رواها لكل واحد دون أن يخرم منها حرفا

وقد خيل إلى بادىء ذى بدء أن الرجل يستعين بمذكرة يدون فيها أعظم ترهاته وأكبر أكاذيبه ويثبت فيها أيضاً أسماء ضحاياه ، غير أنى مالبثت أن أبعدت هذا الرأى . لأنه لو عمد إلى ما تخيلته وتوهمته لما وسعت خرافاته المجلدات مهما كثرت ، إذن فالأمر الذى لا يرقى اليه شك أنه يطبع كل كذبة يرسلها على صفحات عقله وناهيك به من طبع لا يمحوه كر الأعوام

وإذا اتفق وذكرته مثلا بألوان القصص الخرافية التى حباني بها وحدى فى غضون سني صداقتنا الطويلة لما أعجزه أن يعيد على مسمعى رغم الأعوام التى تصرمت أول أكذوبة أتحفنى بها ..

ثم هو فى غنى بعد عن أن يتذكر دائماً كل شىء بحذافيره فلو تصادف أن تعثر فى حديث له فانه يبادر إلى إصلاح ما أفسد بمهارة لا يكاد يصدقها العقل ، وهكذا ينشل نفسه من نفسه ويخلف السامع مشدوها فاغراً فاه

ولم تعرف زوجة ارتورو (نعم ان لارتورو زوجة . . . ألا يمكنك أن تتصورها ؟ . . . يالها من امرأة مسكينة) من أمور بعلها إلا ما يطيب له هو أن يطلعها عليه كأن يخبرها بقصة يحشوها بالاغراق فى المبالغة ، أو يروى لها حكاية مضحكة أو أي شىء آخر ، إلا الصدق ...

سافر ارتورو مرة إلى روما فلما آب اتفق أن سألته زوجه عمن رأى هناك فذكر أسماء عديدة من جملتها اسم الكونت سجارجى

وفى مساء نفس اليوم ، وكانا على الطعام مع آخرين اتفق أن قال فى كلام له :

— وهل تعلمين أن سجارجى كان هناك أيضاً ؟

فقاطعته زوجته بقولها :

— ولكن أليس سجارجى فى روما كما قلت ؟

فقال من فوره :

— هذا هو أخوه ، وأنت تعرفينه أيضاً

— لا يا عزيزى

— لا ، بل تعرفينه يا عزيزتى

وجرت بعد ذلك مناقشة قصيرة جهدت السيدة المسكينة خلالها أن تتذكر سجارجى الآخر الذى يزعم بعلها أنها تعرفه أيضاً ، ولم تطرح على زوجها سؤالا يبدد حيرتها ففاتتها فرصة الاهتداء إلى الحقيقة

وكنت من جملة الجالسين إلى المائدة فسألت نفسى بقولى : ترى أى الرجلين موجود فى هذه الحياة الدنيا ، سجارجى روما أم سجارجى ميلان ؟ ولماذا اخترع أرتورو وجود واحد فى العاصمة وآخر فى مدينة ؟

إننا جميعاً نعلم علم اليقين أن ليس فى العالم كله سوى واحد يدعى كونت سجارجى ، ولكن أين هو الآن ، أفى روما أم فى ميلان ؟.. وظل السر فى بطن الكذاب الأعظم

وإذا ضبط أرتورو فى أكذوبة أو أحرج فانه لا يتردد برهة في سوق البراهين على أنك مخطئ ، وأنك لم تفهمه كما يجب ، وربما يتواضع ويقول إنه لم يوضح حديثه جيداً ولذلك نبت الشك فيه

ولأجل أن يعبر فى وضوح وجلاء عما يقصده يعمد إلى تشييد قصة أخرى حول قصته فاذا أردت أن تتفهم تماماً ماروواه أولا وأخيراً لتعين عليك أن تنفذ خلال ذلك التيه من التفصيلات والجزئيات والحواشى ... وهذه خطة عسيرة ومراد مرهق فلا يسعك إلا الرضا بالتسليم ، وقد تتهم نفسك بأنك لم تفهم أقواله جيداً كما ألقى الفنان في روعك إذن هو ما أراد التوضيح والتفسير بل التعجيز والارهاق ...

وقد يكذب ليطيع روحه الخيالية أو مزاجه المتقلب الغريب الأطوار

خرج ذات صباح للتروض غير أنه بدل أن يعود مساء أو بعد موهن من الليل انقطع عن بيته وأهله ثلاثة أيام سويا

وليس فى غياب ثلاثة أيام ضرر عظيم ، بل وليس ثمة ما يمنع الغائب عن الاعتراف بالسبب الذى غيبه عن بيته ، وأى إنسان يمكنه أن يعلن فى صراحة كيف قضى أيام غيبته ، إلا أن أرتورو ليس بالرجل العادى فلا تطلب منه ما تطلب من سواه

وأرتورو أكبر وأعظم من أن يدع تلك الفرصة تمر دون أن يطلق لخياله الخصب العنان ويصوغ سلسلة من الحوادث المعقدة وإن لم تقع قط

وارتجل أرتورو كذبة بارعة بدون أن يجهد فكره فكان مثله فى ذلك مثل الفنان القدير الذى يخرج فى زمن قصير أبدع الطرائف وأثمن القطع الفنية التى لا يتأتى للفنانين الآخرين إخراج مثلها إلا بعد عناء ومشقة تطول أعواماً

طلع على أهله بأنه اشترك فى مبارزة ، وعلل غيابه الطويل بقوله إن تسوية المسائل المتصلة بالشرف ليست من الأمور الهينة التى تعالج بسرعة فى يسر ويقضى فيها بدون روية واهتمام عظيم ... ثم لابد

قبل المبارزة من اختيار الميدان وانتخاب السلاح والموافقة على الشروط

وقد بارز فجرح منازله ...

ولكن ماذا جري له هو ؟

لم يصب ولا بخدش خفيف ، أدره وأدره ، وانظر إليه من كل ناحية ... لم يصب ولا بخدش خفيف ...

وتم كل شيء على أحسن ما اشتهى ورام ، وقد طعن بسيفه ذراع غريمه طعنة جعلته الآن طريح الفراش ...

ويصيح أحد أقاربه قائلا :

يالها من حادثة ! أتجازف بحياتك ، ولكن لماذا ؟

وكان ارتورو لم يفكر بعد ذلك في اختلاق سبب المبارزة ، والمرء لا يبارز رغبة في أن يرى جسده مثخنا بالجراح ... وكان الفصاص الأعظم لم يقدر أثناء الكلام هذا السؤال بل ولم يدخله في حسابه ، وإن كان من المعقول والمنتظر أن يأتي السؤال

وسمع ارتورو السؤال دون أن تهتز له شعرة ، ولم يزد على أن ابتسم ابتسامة الحذر الأريب ، ثم ألقى نظرة لطيفة متوسلة فأدركوا جميعا ما شاء أن يدركوه

إن من أسباب المبارزات أسبابا لا تفشى ...

إنه شرف امرأة .. أو إنه فضيحة امرأة (والشرف والفضيحة كلتان مترادفتان في بعض الأحوال)

وقال قريب آخر له ولع بالمنطق :

— ستتسرب أنباء الفضيحة إذ ستنشر الصحف كل المسألة من ألفها إلى يائها ...

فقاطعه ارتورو بقوله :

— أنت تهذي ، سترى أن الصحف لن تشير إلى شيء فلقد مررت مع الشهود على دورها ولم أزل بالشرفين على تحريرها حتى استخلصت منهم وعدا بألا ينشر شيء . أجل لن يقولوا كلمة واحدة ، وستصدر الصحف غدا وليس في واحدة منها كلمة عن المبارزة . وأتوسل إليكم أنتم أيضا أن تصونوا سري ، وإني ما بثثتكم إياه إلا لأن المرء الكريم لا يضمر شيئا دون أهله وناسه ... وأتضرع إليكم ألا تستمروا سرى على نحو ما !

فبادر السامعون إلى رفع أصابعهم إلى شفاههم ووقفوا جامدين وكأنهم يتآمرون . وجعل ارتورو يتصفح وجوههم وجها وجها ثم ابتسم وآوى إلى فراشه ... يالله من فنان !

ولم تشر صحف الصباح إلى المبارزة ... وكان ارتورو قد أمر بابتياع كل الصحف ، فلما جيء له بها راح يقلب طرفه فيها باهتمام كبير ، هذا وأهله حوله وقد علقوا أنفاسهم من فرط القلق

ولا كلمة واحدة ...

لقد بر الصحفيون بوعدهم ...

وأجال ارتورو بصره فيما حوله وعلى فمه مثل تلك الابتسامة التي أجلاها أمس ، وقد افتر لما رأى القلق مرتسما على وجوه ذويه

وقال بينه وبين نفسه : حبذا الأهل البررة ، لقد ابتلعوا جميعا الكذبة ، يالها من مزحة !

وليس أرتورو دائما بالرجل الفاضل المحب للنظام إذ قد تصادفه حال يكشف فيها عن مثل براثن الأسد ، وذلك حين لا يكون ممازحا أو متهكما في حديث سداه الغرابة ولحمته التهويل ؛ ثم تواجهه حاجة قد أوجدتها ضرورة ملحة من ضرورات حياته اليومية

وإنك لتراه إذا ركب ذلك المركب متأهباً فى صبر وجلادة لتنفيذ أية مكيدة وتدبير أية خطة ، ويفعل ذلك قبل وقوع الأمر بأشهر

وقد يلقن فى حديثه كلة اليوم ، ويدس أخرى غداً ، وثالثة بعد أسبوعين ، وهذا شأنه إذا ما أراد أن « يخلق الجو » على حد تعبيره ، حتى إذا ما بصر بالثمرة وقد أينعت وحان قطافها لا يكلف نفسه أكثر من أن يهز الفرع هزة خفيفة فتهوى الثمرة بين قدميه

كيف يستطيع أن يشخص إلى باريس ليشهد افتتاح « الصالون » الحديث دون أن تصطحبه زوجه الغيور ؟

إن سافرت معه فستمنعه ولا ريب من التطواف طويلا فى مدينة تضل العابد وتفتن الزاهد

ولكنه سافر

وسافر بمفرده

وكيف ؟

بفضل العمل فى هدوء وصبر قرابة ستة أشهر ، العمل فى اختلاق قصة من قصصه المألوفة

وإنى إذا حاولت أن أسرد ما حاكه ودبره فى غضون نصف عام لما اتسع المقام ، ولذلك أراني فى حل من أن أذكر الخلاصة كما يذكرونها فى برامج دور السينما

يتعرف أورتو إلى السنيور كارلو روستنى ويقول لزوجه ذات يوم إنه تعرف أخيراً إلى السنيور كارلو روستنى أحد تجار الصور ، ثم يمسك عن ذكر اسم صاحبه الجديد خمسة أيام

ثم يقول :

— آه ، هل تعلمين أني التقيت بروستنى صباح اليوم ؟

وتمر ثلاثة أيام ويقول أرتورو لزوجه :

— إن روستنى رجل غريب الأطوار ، قابلته اليوم فاقتطع من وقتى ساعة أفناها فى الحديث عن الصور !

وتنقضى ثمانية أيام لا يحرك الرجل فيها لسانه باسم صاحبه ، ثم يقول :

— آه تذكرت ! أقول على ذكر ذلك : إن روستنى يعتقد أنى أفهم أصول الرسم الحديث ، وأكبر ظنى أن حوارنا أخيراً جعله يرى هذا الأثر فىّ ، ثم هو يزعم أن نصائحى سوف تنفعه نفعاً عظيما

ويمر أسبوعان فى صمت

ثم يقول الفنان لزوجته :

— آه تذكرت ما أنسيت أن أطلعك عليه ، إن روستنى مسافر إلى باريس

ويمسك أرتورو عن ذكر صاحبه أسبوعاً ويمضى ذات مساء إلى دار للتمثيل بصحبة امرأته ، وفجأة يحيى إنساناً غير منظور فتسأله زوجه بقولها :

— من هذا الذى تحييه ؟

فيرد عليها بقوله :

— إنه روستنى ، أتودين أن أقدمه إليك ، سأمضى إليه وأحضره ؟

فتجيب السيدة قائلة :

— كلا

فيبتسم ارتورو ، وكان يتوقع ما أجابت به ، ثم يقول :

— عرض روستنى على اقتراحا سخيفا : إنه يبتغي أن أرافقه إلى باريس ليستأنس برأيي عند شراء الصور

ويطول الصمت ثلاثة أيام ثم يتكلم الفنان عن صاحبه فيقول :

— لا أكتمك أنى برمت بروستى وضقت به ذرعا ، لم يعد يشغله سوى الافضاء إلى كل من يقابله بأنى مسافر معه إلى باريس لأعاونه فى اختيار الصور ، ويزعم أنى نقاد وأن لدى ثقافة فنية تبعث على الحسد.

ويمر أسبوع ولا حديث عن روستى ثم يقول ارتورو لزوجه :

— آه ياعزيزتى ، حقا انى لم أعد أطيق أن احتمل فوق ما احتملت . إن الجميع يتحدثون عن باريس . وعن معرضها ، وعن روستى ، وعن سفرى معه ، يجب أن أعترف لك ياعزيزتي بأنى قد أرمى بالبله إن مكثت هنا . من الواجب على أن أسافر ولكن انظرى ما انتهيت إليه بهذر ذاك الحمار ، أسبوعان ؟ ! لماذا ؟ يكفى أسبوع واحد ، أو أربعة أيام فقط ، بل انى أراها كثيرة . سأسافر لأكفي نفسى مؤونة فضول الناس ولأتقى مقالة من قد يقول عنى إنى أسرف فى الحديث وأخبط فيه خبط عشواء

ثم لايذكر صاحبه ولا يذكر باريس أربعا وعشرين ساعة

ثم يضرب الضربة الفاصلة

لقد انتهى من « خلق الجو »

يقول لامرأته :

— نعم ، أشهد أنى أكثر الناس سخطا على تلك المسألة ، ولكن من كان يتصور ياعزيزتى ان أقاويل ذاك التاجر سترغمنى يوماً على ركوب البحر إلى باريس ؟ هدئى من غضبك أيتها الزوجة الصغيرة !

سأذهب ثم أعود من فورى ، آه ، لو قدمنى ، في المستقبل صاحب إلى تاجر صور للكتته فوق أذنيه ، أتريدين أن أجعل من نفسى أضحوكة بالمكث هنا على حين أن الجميع ينتظرون رؤية الصور التى سأنصح روستى بشرائها ؟ وبعد فليست باريس فى طرف الأرض الآخر . . . النساء ؟ لم أفهم بربك وضحى ماترمين إليه .. إن النساء أشباه فى كل مكان. ألا توجد نساء هنا أيضاً ؟ وبلى على روستى لقد مكر بى واحتال على إلا أنها آخر حيلة أيضاً

وتأذن المرأة لبعلها بالسفر فيستقل القطار بمفرده وأين روستى ؟

تقدم بيوم ليلقى النظرة الأولى السريعة على صور « الصالون » ...

وسافر أرتورو إلى باريس حيث مكث شهراً ، وأود أن تعتقد أنه لم يكن فى باريس بمفرده ... كما رأيته فى القطار ...

وأرتورو وإن كان قد دبر الخرافة المضحكة بحذق ومهارة إلا أنها انتهت بمأساة ...

أسرف الفنان فى اللهو ومع أنه لم يفته أن يكتب إلى زوجته مراراً ويذكر لها ما ابتاعه صاحبه من صور والنصائح القيمة التى أسداها ، إلا أن الزوجة المسكينة ساورها القلق وانتابتها الهواجس والمخاوف

وإذا ما خلا المرء بنفسه قد يواتيه الانسجام فى التفكير بل وقد يصل إلى السداد فى الرأى فيقع على الحقيقة

ولما عاد أرتورو من رحلته راعه من زوجه أنها جابهته بقولها :

— أشتهى أن أتعرف إلى روستى المظيم .

فيتأملها ثم يقول :

— ولكنك رفضت أن أقدمه إليك في اللهى

— نعم غير أنى راغبة الآن فى التعرف إليه

— لاشك أن صديق سيسر ويطرب ، يا له من صديق عزيز ، إنه رجل ذكى مهذب ، وهو ذو حرص وبصيرة وستشاهدين منه ما يسرك

ومع أنه لفظ أقواله هذه وعلى شفتيه ابتسامته الهادئة المألوفة ، غير أنه كان بعيداً عن الهدوء والاستقرار . إنه ما واجه قط مثل هذا الخطر الدائم المرعب . لقد أصبح لزاماً عليه أن يفرد يوماً يدبر فيه الحيل التى ينقذه من ورطته

وقد أجاد التدبير وأتقنه بصبره المعروف عنه والذى دونه صبر القطط

وبعد مرور أيام قلائل على ذلك الحديث مرض روستى ، وانقضى بعض الوقت وهم لا يعرفون ما دهاه ، وذهب الأطباء فى مرضه فرقا ، وأخيراً استفحل الداء فنم عن نفسه وكشف عن سره . إنها الزائدة الدودية ، المرض الرفيع السامى ، وخشى الأطباء التهاب البريتون . وارحمتاه لك ياروستى ! أهكذا تمسى حليف الأوجاع والآسقام وأنت فى ميعة الصبا وشرخ الشباب ، وأنت الصديق الوفى الفاضل ؟ من كان يصدق ذلك أثناء المرض فى باريس ؟ كان روستى شفاه الله يناقش إخوانه فى الفنون ، ويعمل سحابة يومه بهمة وحماس ...

وبينا أنا أهم بالخروج ذات صباح إذ دخل على ارتورو أندولى فى لباس الحداد فصحت إذ بصرت به :

— آه ، من أين قدمت ؟

فأجابنى بقوله :

— من جنازة روستى المسكين ، لقد توفى أول من أمس ...

— من ؟

— روستى تاجر الصور

وكان ارتورو رفيق فى عهد الدرس والتحصيل ويعلم أنى أفهمه جيدا ولذلك اختصنى بأسراره

وذكر فى لهجة تقطر سخرية الفصة بأكملها ثم ختمها بقوله :

— وكان الخطر عظيما ، وكيف أقدم إلى زوجتى صديقا ما عاش إلا فى مخيلتى . لا أنكر أنى أشرت إليه فى الملهى ذات مساء غير أنى كنت أحمى الهواء ، ولا أنكر أيضاً أنى عرضت على زوجتى أن أقدمه إليها ولو أنها قبلت لدرت حول القاعد دورة ثم رجعت إليها أقول إنه غادر دار التمثيل فى نفس الوقت الذى رأيته فيه . ومما وعر الموقف وصعبه ما وضعته زوجتى من عقبات فى طريق ، وكانت لا تفتر عن ذكر روستى ، وتسألنى عنه دائماً حتى لخشيت من فرط إلحاحها أن ينتهى بى الأمر إلى أن أعتقد أنه موجود حقاً فى هذه الدنيا . ولما رأيت الضرورة تقضى بأن أضع للأمر حداً قتلته ، وها أنت ذا تراني قادماً من مقبرته بعد أن وارته التراب

ثم أخرج من أحد جيوبه ورقة ذات حواش سود وقال :

— وهذا نبأ نعيه ، وقد وصل إلى بالبريد أمس ، ولا أكتمك أنه سقط علىّ سقوط الصاعقة ؛ وقد أثر المصاب فى زوجتى أيضاً فهى حزينة واجمة . ولما رأت لوعتى على صاحبى فى اليومين الماضيين جعلت تعطف علىّ وتواسينى وتغمرنى بشفقتها . سألتك بالله أن تحدثها عن روستى المسكين إذا ما زرتها لأنه لاحديث لنا اليوم فى منزلنا إلا عنه ...

فضحكت وقلت :

— أنت مهرج كبير

فقال بلهجة المعاتب :

— يجب ألا تضحك

ثم جلس وأشعل سيجارة واسترجع يقول :

— نعم يجب ألا تضحك ، إن موت روستى المسكين خسارة فادحة منيت بها ، ولقد كنت أدخره لرحلات أخرى هامة قد تترامى إلى الهند . والآن وقد فقدته فانى لا أدرى كيف أشخص إلى الهند مثلا

— متى أزمعت السفر إلى الهند فما عليك سوى أن تخترع شخصية مهراجا

فقال فى جدة ورزانة :

— رأى صائب . إنى أرى فيك بعض الحصافة ولكن أعدك بأنى سوف أدع المهراجا فى بلاده بعد انتهاء السياحة إذ ليس من الوفاء للأصدقاء أن أقتل كل من يطوف مى

ثم وقف وقال بعد أن استأذن فى الانصراف :

— يجب أن أذهب لأتناول الغداء ولأبدل ثيابى هذه بأخرى . لا تنس أن تذكر لزوجى ولو كلمة واحدة عن روستى المسكين ، وسأكون ممتناً لك جدا ... إلى الملتقى ، ليس لدى من الوقت إلا ما يكفى لتناول وجبة الظهر وتغيير الثياب إذ سيزورنى سيد انجليزى فى الساعة الثالثة ...

فقاطعته بقولى :

— لا فائدة من اختراع الأكاذيب أمامى ، إنى لا أصدقك

— لا ، لا ، أقسم أنى منتظر فى الساعة الثالثة قدوم ذاك الانجليزى

وتكلم فى لهجة المحتج الصادق ثم قال :

— والكونتس فيورا هى التى نصحت السيد الانجليزى بأن يزورنى . ألا تذكر أننا تحدثنا فى بيتك يوماً عن الكنيسة الصغيرة المشيدة فوق مونت سان فوستو ؟ حسن ، نصحت الكونتس السيد الانجليزى بأن يزورنى لأزوده ببعض المعلومات عن الكنيسة وعن أقصر طريق للوصول إليها

وأمسك عن الحديث برهة ، ثم انفجر ضاحكا وقال :

— لو استطاع ذلك السيد الانجليزى الاهتداء إلى طريقه فوق التل بفضل إرشاداتى لعددته عبقرياً فى فن تخطيط الأرض

وخرج وأنا أسمع رنين ضحكته يدوى فى البهو ، كان فرحاً مسروراً !

لقد خدع زوجته وسيخدع السيد الانجليزى كما خدع الكونتس ، ولعله خدعنى أنا أيضاً بتلك القصة الصغيرة عن الكونتس والسيد الانجليزى

إن أحداً لن يعرف الحقيقة أبداً ... !

محمد عيسى

اقرأ :

توفيق الحكيم

فى كتبه الثلاثة الجديدة :

همهم الشيطان

ثمن النسخة ٨ قروش

تحت شمس الفكر

ثمن النسخة ١٠ قروش

تاريخ حياة مصرة

ثمن النسخة ١٥ قرشا

تطلب من جميع المكاتب الشهيرة